

معنى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

والذين أيضا يقذفون غيرها فقوله -تعالى- { إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } ذكرنا في الآيات التي قرأنا في اليوم الأول قوله -تعالى- { وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ } ذكرنا بالأمس أن الآيات نزلت في المحصنات وهن جنس النساء، ولا يجوز الاقتصار على جنس النساء؛ فإن قذف الرجال كذلك، فإن للرجال حرمة كما للنساء؛ وإنما اقتصر على النساء لأن الغالب عليهن الحياء، وعدم المطالبة بحقهن، والغيرة على الرجال أن من قذف منهم فإنه سينتصر ممن قذفه وسيشتكيه، وبطالب بحقه فاقصر على النساء مع أن الرجال كذلك، إذا قذف رجلا فإن لذلك المقدوف أن يطالب بحقه بإقامة الحد عليه. هذا الحد الديني الذي تقدم في الآيات بالأمس، أما هذه الآيات ففيها العقوبة الأخروية إذا قدر -مثلا- أن إنسانا قذف إنسانا، قذف رجلا أو قذف امرأة؛ وذلك المقدوف استحيى أن يطالبه، ووكل أمره إلى الله -تعالى- هو يعلم أنه مظلوم ويعلم أن هذا الظالم جبار، وأنه لا يقدر على أخذ الحق منه لكونه كبيرا أو لكونه رئيسا أو ما يشبه ذلك فقال: أمري إلهي الله -تعالى- هو الذي ينتقم لي منه، ففي هذا يكون الوعيد الأخروي الذي ذكر في هذه الآيات { الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } ذكرنا معنى المحصنات -فيما سبق- أن المراد بها العفيفة المحصنة التي أحصنت نفسها وأحصنت فرجها وحفظت عرضها، ولم يكن هناك تهمة توجه إليها بل هي معروفة بالحصانة ومعروفة بالرزانة. حسان رزان ما تزن بريئة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل وفسرت المحصنات بأنهن المتزوجات؛ ولكن ليس ذلك مطردا بل من قذف عفيفة ولو لم تكن متزوجة دخل في هذا الوعيد، وكذلك الرجال إذا قذف رجلا، اتهامه بالزنا أو رماه به وقال: هذا زان أو زنا فلان أو رأيتك تزني وما أشبه ذلك؛ فإن الحريغار على عرضه، وبطالب بحقه ويسوءه أن ينشر له هذا القاذف سمعة سيئة؛ فلو قدر -مثلا- أنه عجز عن أن ينتقم منه، وعجز أن يطالبه، فلم يقم عليه الحد الديني فإنه يستحق الوعيد الذي المذكور في الآخرة. وصفهن بأنهن غافلات يعني: أنهن في غفلة عن ما رمين به، وليسن يحدثن أنفسهن بهذا الأمر السيئ الذي هو فعل الفاحشة، رجالا أو نساء لا يخطر ببال أحدهم أن يفعل هذا المنكر، ولا أن يزني؛ لأنه يعرف بشاعة الزنا وأنه فاحشة وساء سبيلا، فهم غافلون عن ما يرميهم به هؤلاء الفسقة الذين يتلذذون بأعراض الأبرياء، وأعراض المؤمنين. في قوله { الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } هذه شروط الإحصان: هو العفاف والغفلة يعني كونهم بعيدين عن ما يتهمون به، وكونهم من أهل الإيمان، يخرج بذلك الذي يقذف كافرا فإن الكافر لا حرمة له الوعيد في هذه الآيات وعيد شديد { لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } لعنوا يعني: أبعادوا عن الخير، وأبعادوا عن الفضل، وأبعادوا عن الصلاح في دنياهم وأخراهم؛ فليسوا أهلا أن تقبل شهادتهم، وليسوا أهلا أن يقربوا، ولا أن يصاحبوا ولا أن يؤووا؛ إلا إذا كالأول كما تقدم، فاللعن في الدنيا هو تعذيبهم بإقامة الحد وكذلك برد شهادتهم، وكذلك أيضا بعدم إيوائهم، وعدم مقاربتهم وعدم إيوائهم أو نصرهم أو تأييدهم على شيء من ذلك، فإن ذلك إغانة على الفحشاء والمنكر، وأما في الآخرة فلعنهم في الآخرة أنهم يستحقون العذاب، قد ذكرنا أن اللعن في الآخرة يدل على أن ذلك الذنب من كبائر الذنوب التي لا تغفر إلا بالتوبة إلا أن يشاء الله -تعالى- ولهم عذاب عظيم هذا العذاب يحتمل أنه عذاب الدنيا الذي هو الجلد ونحوه، ويحتمل أنه عذاب الآخرة في البرزخ وما بعد البرزخ. { يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ } يعني في الدار الآخرة؛ حيث إنهم كاذبون تنطق عليهم جوارحهم، نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، ينطق الله جوارحهم فينطق اللسان ويقول: أنا الذي كذبت، وتكلمت بكذا وكذا. وتنطق الأيدي وتنطق الأرجل وتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا كما في قول الله -تعالى- في آية أخرى { الْيَوْمَ نَخَيُّمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ } وفي قول الله -تعالى- { نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } فجوارحهم تشهد عليهم في الآخرة بما عملوا عندما ينكرون ذلك، يقول: لا أقبل شهيدا علي إلا من نفسي فتنتطق جوارحه، وتكلم بما عمل، فيقول بعد ما يخلى بينه وبين الكلام: سحقا لكن، فعنك كنت أجادل. { نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ { دِينَهُمْ يعني: جزاءهم يوفيههم الله -تعالى- الجزء الذي يستحقونه؛ وذلك يحسب أعمالهم في الآخرة، يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، أي: ما يدينون به وما يدانون به، يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ويعلمون أن الله هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أنه لا يعاقبهم ولا يجازيهم إلا بما يستحقون، ويعترفون بأن هذا الجزاء الذي يجازيهم به أنهم أهل له، وأنهم مستحقون له، وأنه ما عاقبهم بأشد مما يستحقون، يعترفون بعد ذلك وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.